«همسات بريئة» .. معرض الفنانة عفاف صادر

الجواءات الجمالية الملونة وشاعرية الطفولة

كأنها مرايا الاحلام. أو أحافير المشهديات البصرية. تلك اللوحات المرسومة حتى بألوان الزيت على القماش والتي تبلغ الاربعين لوحة تعرضها الفنانية عفاف صادر في صالة صادر للفن والثقافة (البوشرية) واللوحات بحجوم متوسطة وكبيرة وعبارة عن مغامرة لونية تتداخل فيها الاشكال وكرنفالات الاضواء الكريستالية والروح الشفيفة الرهيفة للفنانة التي تضرج انامِلها وريشتها الاطفال والنساء والرجال. ومشهديات الطبيعة بالعطور الملونة السرية والعلنية التي تتخافى وتتقادم. تتلألأ. وتتخافت. وكأنها قصائد مرئية ملونة حيث الفنانة تنعتق من الواقعية. وتذهب في التحولات والإنزياحات الى رومانسية عابقة بالنور والبخار والضباب والدخان. فيما الموضوع الشديد الاهمية، يسند التقنيات التي تعقدها وتصوغها للتعبير عما يخالجها من انفعالات ومشاعر انسانية. يستغرقها الحب. وتتجلى في الكيفية التي تعبر بها عن نوازعها ودوافعها ورغباتها الجمالية معا !.

ولا شيء يمنع الفنانة من الخوض في غمار التجربة البشرية فصياغاتها التأملية للاطفال وعوالم اللعب والمدرسة والقراءة فيها نوع من الطقوسية، والاسرار والسحر بسبب بحثها عن فردوس مفقود. والحقيقة ان روح الفنانة عابقة وغامرة بالطفولة. وهذا ما يشحذ لوحاتها والوانها ويجعلها في مقامات الاحلام والروحانيات مع شبهات مادية. وكأنها تستبطن دخيلتها. وتتداخل وتتخارج في ملكوتها الشخصي. لتتمرأى. بما يعن على بالها. ويسخ في خيالها. من خصوبة اشكال والوان، وخصوماتها معا. فهي التي تنبض وتتوتر بالحركة تجعلها سرية وعلنية في جواءات ضوئية يتزاوج ويتداخل فيها الساخن والبارد من الالوان. وكأنها على بينة مما ترسم وتكون وتؤلف. وتترامى في هذه الفضاءات النورانية التي تنشغف بها، وتتشاغل فيها لتجعلها قادرة على محمول الاشكال الانثوية الرقيقة الناعمة المختلجة بالمشاعر والمتراقصة ايضا حيث التوغل والتغول في الشفق والفسق وعوالم الموسيقى والعازفين، والراقصات والراقصين، حين تجترح حركاتهم مع المقامات المعزوفة والاصداء والنغمات والاصوات المتوهمة المحلومة.

وعزيف السرية والفسق البصماتي قائم قاعد في ثنايا اللوحات وطياتها من دقة الاختيار الى اللعب والتماتع في هذه المتاهات والهاويات المتاتية من سديم ضوئي تتعامل معه الفنانة كتعاملها مع الاشكال وهيئاتها وسماتها. لكأن ما تنشده اللوحة اكثر من اللوحة وتوهيم البصر اكثر من خطابه الواقعي. لذلك تذهب هذه المذاهب الشاقة الصعبة التي فيها مجاهدات ومكابرات تفضي بها الى صوفية شاعرية تشف عن روح عذبة

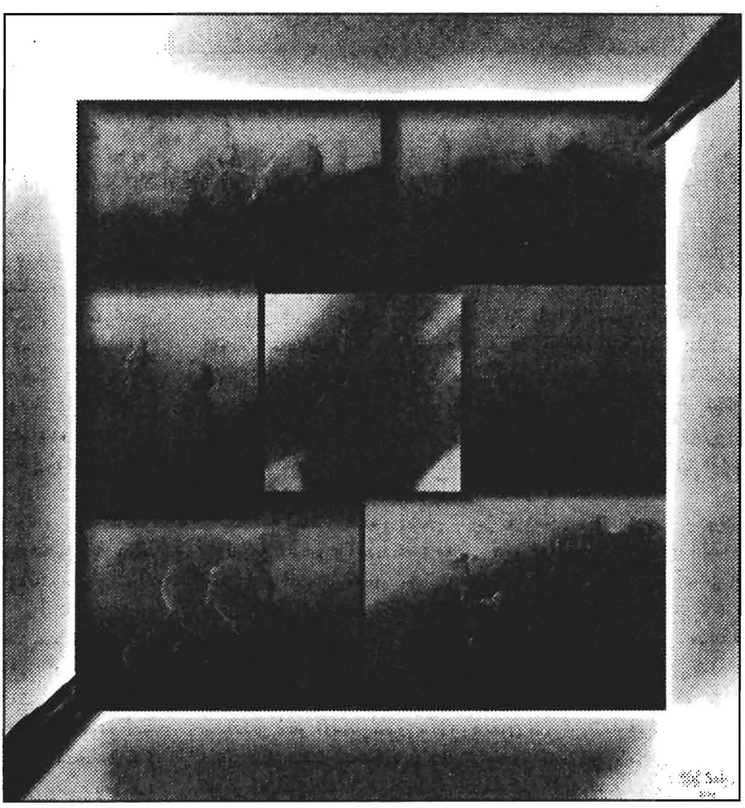

□ من المعرض □

وحين نمعن النظر ونتدارس اللوحات نعاينها ونتفحص دقائقها وتفاصيلها وحدوثاتها سنعثر على مساءات النار القائظة الحارة. خلف هذه الهدأة، وهذا السكون المريب الموارب الذي يجلبب اللوحات. ويمنحها الكثير من الروعة. في تمييز الحنين الاسر الغامر. الى ازمنة فائتة تنقضي والى سراب الاعمار. لكن قصيدة تمجيد ومديح الحب والحياة الانسانية الحميمة ماثلة في الاعمال. ولا تخلو من ترشيد وترغيب لهذه المتاهات الضوئية التي تأسر بصرنا وبصيرتنا، ونحن نمر امام هذه الشموس المتكسرة المتناثرة. وامام اطياف الالوان القزحية التي تجيد صياغتها والتي تمعن في تدوينها وشحنها بالدوي والشاعات المبثوثة التي تخلق تأثيرات شاعرية وتستدعي احلام يقظة ومنامات في مناخاتها الدفيئة التي تنطوي على الكثير من الكنوز والثراءات. والغنى الشعوري والاحاسيس الوفيرة التي تستغرقها الايحاءات والدلالات المعقودة في اعماق اللوحات، كما على سطوحها، حيث التوازنات الدقيقة بين الاشكال والفضاءات المحمولة فيها وبين الرسم والتلوين وحيث انسجام وتوازن الالوان وتراكماتها الطيفية والضوئية. وما تغدقه الفنانة عليها من نورانيات دفيئة، دفينة.

لكن الفنانة عفاف صادر لا تكتفي بجذبنا كالفراشات الى قناديلها المشتعلة الملونة، بل انها تدخلنا في جواءاتها الاشكالية الشجية التي تحدث فيها حروباً سرية واشتجارات. واسى اسيان، يرشح كالزيت من شبهات ايقوناتها الارضية. الموزعة على عراء اللوحات. والمزروعة في تربة فضاءاتها الفاغمة حيث تتواجد الكائنات حيث يجب عليها ان تكون وحيث المشهديات الطبيعية. غير

وحين تتفتق الالوان عن هواجس وظنون الفنانة تكون كمن يشكل ابجدية حلمية. تتكاتب من خلالها اللوحات وتتقارأها وتشحنها بالمزيد من الاسرار والسحر والجاذبيات الحانية الرؤوم المعقودة على الاطفال وفي مشهديات الاجتماع والحب والطبيعة، والموسيقى والرقص،، وكل النساءات المأنوسة الانثوية الرقيقة الناعمة التي تلتبس لدينا رؤيتهن في احوال ومقامات العشق، وربما ذهبن الى غموضهن. كمن يتداخل النعاس فيهن احيانا. مع ذلك في اشتقاقات الجسد ومكنوناته. تسطع الالوان لتقدم المسرات الانسانية في الاجتماع، وتقدم هذه المشهديات على انها مرايا ذاتية. تؤرخ الفنانة سيرة حياتها من خلالها. وتقرأ مشاعرها بالهمس والشعر. بالغناء والرقص بحيث تدخلنا الى ما يسمى فردوسا موهوما تحاول صياغته بعناصر ارضية وتدبجه وتزينه بالكثير من شبهات القداسة والملائكية !.

ولوحات الفنانة محكومة بالحلم والتجلي اكثر مما هي محكومة بالرؤية المباشرة. فهي تبزع من خلجات روحها وجسدها حتى لو استعارت عناصرها من الواقع، انها تجسيد وتشخيص لمشاعرها وابعادها الميتافيزيقية المرئية واللامرئية. وهي في سوانحها، تختطف اشتياقاتها وتوقها الى الفرح والحب والحرية. من خلال مراودات سخية. واحزان موسومة بسيولاتها اللونية. وليونة وطراوة ريشتها، وهي تتعامل وتتفاعل مع بياض اللوحة. ومع استنهاض الاشكال وإيقاد النيران المقدسة المضيئة المتوهجة التي تعكس سريرة جمالية مغسولة بالضوء وكل الالفة والحميمية وتقدير الانسان وكأنها تبث رسالة تعاضد وتضامن. وتوحد مع مصير الانسان ومع اعتبار حقه بالحلم والحب والفرح.